الشيوعي

رابطة العمل الشيوعي
التيار الماركسي الأممي

العدد: 02 - ماي 2010 – البريد الالكتروني: communisme@marxy.com ثمن البيع: 5,00 دراهم، المساهمة: غير محددة

الافتتاحية

أيتها الرفيقات أيها الرفاق، بعد مرور عدة شهور على إصدار العدد الأول، ها هي جريدتكم "الشيوعي" تعود مرة أخرى إلى الصدور، وإننا إذ نضع بين أيديكم هذا العدد الثاني، نوضح لكم أن هذا التوقف المؤقت الاضطراري، والذي استمر حوالي خمسة أشهر، راجع إلى أسباب قاهرة لا تخفى على العمال والمناضلين وكل القابضين على الجمر في ظل الظروف الصعبة للعمل الثوري.

إننا نصدر جريدتنا هذه ونوزعها بالاعتماد فقط على قدراتنا الخاصة وتفاني المناضلات والمناضلين، ونرفض بشكل مبدئي ومطلق أي تمويل أو دعم من طرف أية جهة حكومية كانت أو غير حكومية، كما أننا لا نعتمد في توزيعها على مؤسسات التوزيع البورجوازية، وذلك حرصا منا على الحفاظ على استقلاليتنا المطلقة وقدرتنا على قول الحقيقة كل الحقيقة بخصوص كل القضايا، رغما عن أنف الرقابة والدكتاتورية.

إلا أننا نعاهدكم أنه، وبالرغم من جميع العقبات والصعاب والانقطاعات المؤقتة، سنواصل العمل على إصدار جريدتنا / جريدتكم "الشيوعي"، لنؤسس لصحافة عمالية ماركسية ثورية حقيقية، وسنعمل ما في وسعنا لإنتاج ونشر التحاليل الماركسية لمختلف القضايا التي تهمكم رفاقنا العمال والشباب الباحث عن بديل ثوري ومهتم بقضية التغيير الاشتراكي بالمغرب، والمنطقة المغاربية، والعالم العربي والعالم.

وقد تضمن هذا العدد بيان التيار الماركسي الأممي بخصوص مسألة بناء الأممية الخامسة، وهو الموضوع الذي يثير حاليا نقاشا حاميا داخل صفوف الحركة العمالية العالمية والتيارات والأحزاب اليسارية، خاصة في أمركا اللاتينية. إن الطبقة العاملة طبقة اممية بطبيعتها، لذا فإنها بحاجة إلى منظمة أممية، لتنظيم نضالها ضد الرأسمالية العالمية، في سبيل الاشتراكية.

لهذا نطلب من جميع العمال والمناضلين النقابيين واليساريين فتح نقاش حول هذه القضية داخل النقابات والأحزاب اليسارية من أجل المساهمة في تشييد هذا الصرح الأممي.

عاشت الطبقة العاملة العالمية

عاشت الأممية الخامسة أممية اشتراكية ثورية من أجل الثورة الاشتراكية العالمية

يا عمال العالم اتحدوا

بيان فاتح ماي

رابطة العمل الشيوعي- الفرع المغربي للتيار الماركسي الأممي-

أيتها العاملات أيها العمال، بمناسبة هذا العيد الأممي نتقدم إليكم - نحن رابطة العمل الشيوعي - بأحر التحايا، ونطرح امامكم موجزا عن تصورنا عن الوضع الحالي العالمي والمحلي، إضافة إلى مجموعة من المقترحات من اجل تطوير النضال ضد الاستغلال والقمع.

على الصعيد العالمي، لقد وصل النظام الرأسمالي العالمي إلى أقصى درجات انحطاطه وهو الشيء الذي تؤكده الأزمة الاقتصادية الأخيرة التي زادت في فضح طفيلية الرأسمال وإفلاسه التام، حيث لم يعد قادرا على الاستمرار إلا بالمساعدات السخية التي تقدمها الحكومات للأبناك وكبريات الشركات من الميزانية العامة على حساب العمال وعموم الفقراء، إذ تقتطع من ميزانية الصحة والتعليم والتقاعد، الخ.

كما أن الحروب التي لا يفتأ الرأسماليون يشعلونها في كل مكان دفاعا عن مصالح الشركات النفطية وشركات الأسلحة وغيرها، والتي يموت بسببها عشرات آلاف البشر كل أسبوع، بل كل يوم، وموجات الإرهاب التي يكمن سببها الأساسي في الصراع بين مكونات الطبقة السائدة، والتدمير الرهيب للبيئة بسبب الجشع الدائم والسعي المسعور وراء الربح، الخ كلها مظاهر لتعفن النظام الرأسمالي ودليل على كونه صار منذ زمن بعيد خطرا على بقاء الجنس البشري. مما يجعل النضال من أجل القضاء عليه واستبداله بنظام اشتراكي تسوده المساواة والسلام العالمي قضية ذات ملحاحية هائلة، وهذا ما تحاول إنارته الطبقة العاملة بكل ما اوتيت من قوة، فما تصاعد النضالات في مختلف بلدان العالم والكفاحية التي تميزت بها هذه النضالات إلا مؤشر قوي على قرب نهاية هذا النظام الطفيلي.

لقد خرج العمال ومختلف الكادحون إلا ساحة النضال واستطاعوا أن يسقطوا حكومات (قرغيزستان) او كادو يسقطونها (إيران)، أما لماذا لم تنجح هذه الثورات للتحول الى ثورات مظفرة، فذلك لغياب القيادة الثورية التي تمتلك برنامجا يكثف مطالب الجماهير ويربطها بشكل مباشر بالاشتراكية. **(التتمة على الصفحة 2)**

قضية الصحراء الواقع والبديل (6-7-8)

نضالات جماهير الجبهة ضد التهميش (4-5)

نحو الأممية الخامسة (9-10-11)

محليا

يعيش النظام الرأسمالي التبعي القائم بالمغرب بدوره أزمة خانقة وإفلاسا على جميع المستويات، ولا يتمكن من الاستمرار إلا بتعريض العمال والطلاب وهوم الفقراء لأبشع أشكال الاستغلال والقهر . وبينما تعيش أقلية من الطفيليات الرأسماليين في النعيم بفضل عرقنا، نحن العاملات والعمال، والنهب المكثف لثروات هذا الوطن وقواه المنتجة، فإن الأغلبية الساحقة في هذا الوطن من عمال وفلاحين فقراء وحرفيين وشباب عاطل، في ظل ظروف قاسية أقل ما يقال عنها إنها لا تليق حتى بالحيوانات.

وفي مواجهة الذضالات التي نخوضها نحن العمال والفقراء من طلاب وعاطلين وفلاحين فقراء دفاعا عن بقاءنا وحقوقنا الأساسية يسلط النظام الرأسمالي الدكتاتوري موجات قمع رهيب ضدنا فتكسر عظام المتظاهرين ويزج بهم في السجون، مما يستدعي ضرورة تدخلنا المنظم العاجل نحن الطبقة العاملة بأسرها، من خلال نقاباتنا وتياراتنا التقدمية المكافحة في النضال ضد الدكتاتورية والاستغلال!

ونفس القمع الذي تسلطه الطبقة السائدة ونظامها السياسي على الشعب المغربي، تمارسه ضد الشعب الصحراوي، حيث تسلط عليه بدوره حربا قاسية تبذر فيها ملايين الدولارات يوميا من أموال صحتنا وتعليمنا، من أجل إثراء حفنة من الجنرالات الطفيليين وأمراء الحرب ومافيات الأسلحة وبعض العملاء والوصوليين من الصحراويين.

وفي هذا السياق نتقدم ببعض المقترحات فيما يخص تنظيم هذه النضالات:

إننا ندعو القيادات النقابية إلى تحمل مسئولياتها التاريخية في تنظيم النضال من خلال توحيد صفوف الطبقة العاملة كلها على قاعدة مطالب انتقالية ملموسة، تنطلق من أشد مشاكلنا ملحاحية : البطالة والاستغلال والقمع وغلاء الأسعار، الخ، وتوسع آفاق النضال من أجل الاشتراكية. لم تؤسس الطبقة العاملة النقابات وتنتخب قادتها من أجل أن يقوموا بالدفاع عن الرأسمالية، بل شيدوها بتضحيات جسيمة من أجل الذضال ضد الاستغلال والدفاع عن ظروف عيش إنسانية!

ولكي تقوم النقابات بدورها بشكل فعال يجب أن تتوقف فورا عن سياسة التعاون الطبقي مع أعداء الطبقة العاملة ومصاصي دمائها الرأسماليين، وتعوضها بسياسة النضال الحازم . يجب التوقف فورا عن نهج المهادنة والاندماج بمؤسسات الدولة الرأسمالية . يجب النضال داخل النقابات عن الحق في انتخاب القادة النقابيين والحق في عزلهم من طرف القواعد العمالية، يجب النضال من أجل الديمقراطية الداخلية.

وفي مواجهة محاولات البرجوازية ودولتها تحميل العمال وعموم الفقراء تبعات الأزمة الاقتصادية، يجب على النقابات أن تدعوا فورا إلى خوض إضراب عام وطني شامل ضد الغلاء والبطالة والاستغلال والدكتاتورية!

كما ينبغي على الأحزاب والقوى اليسارية التقدمية أن تتوحد في جبهة عمالية موحدة على أساس تطوير الذضال من اجل المطالب العمالية ومطالب الشباب العاطل والطلاب ومن اجل الحريات السياسية.

كما ندعو إلى توحيد نضالات الشعب الصحراوي بنضالات الطبقة العاملة المغربية والجزائرية بعيدا عن التحالفات مع عسكر الجزائر والإمبريالية، للذضال ضد النظام الذي يضطهدنا جميعا من أجل إقامة فدرالية اشتراكية بالمنطقة المغاربية!

الجذور التاريخية لفاتح ماي؟

"سيأتي اليوم الذي سيصير فيه صمتنا أكثر قوة من الأصوات التي تخنقونها اليوم!" –أوغست سبيس-

أيتها العاملات، أيها العمال، كل فاتح ماي وأنتم بخير.

تحتفل الطبقة العاملة العالمية كل سنة باليوم الأول من ماي، من خلال الإضراب عن العمل وتنظيم المسيرات والتظاهرات في أغلب بلدان العالم. إنه يوم تؤكد الطبقة العاملة من خلاله أنها طبقة أممية، فرغم اختلاف الأوطان والأديان واللغات، الخ يخرج عمال العالم في يوم واحد ويصرخون بصوت واحد ضد الاستغلال والاضطهاد والفقر.

إن أهمية هذا اليوم الأممي هو ما يجعل الطبقات السائدة في العالم، بتعاون مع عملائها داخل المنظمات الجماهيرية، تحاول إفراغه من مضمونه الكفاحي، وتنسي العمال في جذوره التاريخية، حتى صار وكأنه يوم عيد للاحتفال منحته الطبقة الرأسمالية للعمال . لكن الحقيقة مختلفة تماما عن هذا الادعاء، لقد كان يوم فاتح ماي منذ البداية يوما للنضال ولم تفرض الطبقة العاملة حقها في الاحتفال به إلا بعد نضالات مريرة وتضحيات جسيمة طيلة عشرات السنين .[1] وهذا ما سنحاول توضيحه في المقال التالي.

في البدء كان النضال من أجل ثماني ساعات عمل

لقد ظهرت فكرة تخصيص يوم للتوقف العام عن العمل والتظاهر، أول ما ظهرت، في سياق نضال الطبقة العاملة من أجل الحق في تخفيض ساعات يوم العمل، التي كانت تتجاوز عشرة ساعات، إلى ثماني ساعات عمل.

وقد ظهرت هذه الفكرة الرائعة، على حد تعبير شهيدة الطبقة العاملة والثورة الاشتراكية العالمية، روزا لكسمبورغ، باستعمال الاحتفال بيوم راحة عمالي وسيلة لتحقيق يوم العمل من ثمانية ساعات، في أستراليا في البداية. حيث قرر العمال سنة 1856 تنظيم يوم للتوقف الشامل عن العمل، وتنظيم اجتماعات وأنشطة ترفيهية، والتظاهر لتحقيق يوم عمل من 8 ساعات.

وتقرر تخصيص يوم 21أبريل لتنظيم هذه المظاهرة . وقد اعتبر العمال الأستراليون في البداية أن هذا الاحتفال سيكون لمرة واحدة. لكن هذه المظاهرة الأولى كان لها صدى واسع بين الجماهير البروليتارية الأسترالية، الذين أشعرتهم بقوتهم ووحدتهم مما شجعهم على تجديد هذه التظاهرة كل سنة.

ومن أستراليا بدأت فكرة تنظيم عيد عمالي تنتشر إلى باقي بلدان العالم بسرعة كبيرة وتم قبولها على نطاق واسع، حتى تمكنت من الوصول إلى مجمل عمال العالم.

في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ خلال مؤتمر للنقابات قرر العمال الأمريكيون، سنة 1884، تخصيص سنتين للنضال من أجل فرض تقليص يوم العمل إلى ثماني ساعات. واختاروا تاريخ البدء في التحرك من أجل هذا المطلب يوم فاتح ماي، لأن

[1] وما تزال الطبقة العاملة في بعض البلدان، تناضل من اجل فرض الحق في الاحتفال به.

الكثير من الشركات آنذاك كانت تعتبره بداية السنة المالية، وكانت عقود العمل تنتهي في هذا التاريخ.

يوم فاتح ماي سنة 1886، وبناء على هذا القرار تمكن 200,000 عامل/ة من تحقيق تخفيض في ساعات العمل إلى ثمانية ساعات، بينما قرر العمال الآخرون، الذين رفض أرباب عملهم القبول بتخفيض ساعات العمل، الدخول في إضراب عام عن العمل، شارك فيه حوالي 340,000 عامل/ة. يوم الثالث من ماي، من نفس السنة، خرج العمال الأمريكيون في تظاهرة احتجاجية بشيكاغو، واجههم البوليس بإطلاق الرصاص الحي مما خلف سقوط ثلاثة بين المضربين.

وقد شهدت هذه المظاهرة تفجير قنبلة أسفرت عن مقتل بعض رجال البوليس، فاستغلت السلطات هذه الحادثة لتعمل على تلفيق التهمة لثمانية نقابيين وحكمت على خمسة منهم بالإعدام؛ لينفذ الحكم يوم الجمعة 11 نوفمبر 1887 (وهو اليوم الذي دخل تاريخ الطبقة العاملة تحت اسم **الجمعة الأسود**)، بينما حكمت على الثلاثة الآخرين بالسجن المؤبد.

بعد دفن هؤلاء الشهداء، في مقبرة والدهيم (Waldheim) بشيكاغو، كتب العمال على نصب تذكاري أقاموه لهم، الكلمات الأخيرة التي قالها أحد هؤلاء النقابيين الذين أعدموا : **"سيأتي اليوم الذي سيصير فيه صمتنا أكثر قوة من الأصوات التي تخنقونها اليوم!".**

في ذلك الوقت، كانت الحركة العمالية الأوروبية قد بدأت تتقوى وتنهض للنضال. وقد كان كان أكبر تعبير عن هذه الحركة هو المؤتمر الأول للأممية الاشتراكية سنة 1889. في هذا المؤتمر الذي ضم 400 مندوب، والذين اجتمعوا في باريس لتخليد الذكرى المئوية للثورة الفرنسية، قرروا، (يوم 20 يوليوز 1889) أن يكون يوم العمل من ثماني ساعات هو أول مطلب يتم رفعه. فاقترح المندوب النقابي الفرنسي، العامل رايمون لافين من بوردو، أن يتم رفع هذا المطلب في كل أنحاء فرنسا، من خلال توقف شامل عن العمل. وفي هذا السياق أثار مندوب العمال الأمريكيين انتباه الحاضرين إلى قرار العمال الأمريكيين بتنظيم إضراب يوم الفاتح من ماي سنة 1890، فقرر المؤتمرون أن يجعلوا من هذا اليوم عيدا عماليا أمميا.

في البداية لم يكن أي أحد منهم يفكر في أنه سيتم تكرار خطوة الإضراب العمالي العالمي هذه في السنوات التالية. ولم يكن أي أحد منهم يتوقع ذلك النجاح الباهر الذي ستحققه هذه الفكرة والسرعة التي سيتم بها تبنيها من طرف الطبقة العاملة الأممية. لكن كان كافيا التظاهر يوم الفاتح من ماي لكي يفهم العالم بأسره أنه يجب أن يكون الفاتح من ماي عيدا سنويا دائما.

في السنة الموالية، فاتح ماي 1891، وخلال مظاهرة سلمية لتخليد هذا اليوم، تعرض العمال العزل بشمال فرنسا لإطلاق النار من طرف البوليس مما خلف سقوط تسعة عمال قتلى.

لكن رغم كل هذا القمع استمر العمال في مختلف بلدان العالم في تخليد هذا اليوم الأممي وجعله يوما للنضال من أجل مختلف المطالب (تخفيض ساعات العمل بدون تخفيض الأجور، الحق في التنظيم، الحق في التعبير، الخ). وبعد انتصار الثورة العمالية في روسيا، قررت الحكومة العمالية البلشفية اعتبار فاتح ماي يوم عطلة مأجورة واحتفال رسمي. بعد ذلك وبفضل ضغط العمال في باقي بلدان، تمكنت الطبقة العاملة الأممية من تعميم هذا المكسب.

لقد طالب العمال خلال الفاتح من ماي بيوم عمل من ثمانية ساعات . لكن حتى بعد أن تم تحقيق هذا المكسب، كما قالت القائدة العمالية، الرفيقة روزا لكسمبورغ، فإنه لم يتم التخلي عن تخليد يوم الفاتح من ماي. وطالما استمر نضال العمال ضد البورجوازية، وطالما لم يتم تحقيق كل المطالب، فإن يوم الفاتح من ماي سيستمر في كونه التعبير السنوي عن تلك المطالب . وعندما ستشرق شمس الاشتراكية، وعندما سيحقق عمال العالم بأسره تحررهم، فإن الإنسانية ستستمر ربما في الاحتفال بيوم الفاتح من ماي من أجل تخليد ذكرى النضالات المريرة والمعاناة الهائلة والشهداء.

وفي المغرب خلد العمال المغاربة هذا اليوم الأممي منذ بداية تشكلهم كطبقة اجتماعية، فمع دخول الرأسمالية للمغرب، في بدايات القرن العشرين، دخلت معها تقاليد الحركة العمالية الأممية، فتشكلت النقابات ونظمت الاضرابات، بالرغم من القمع الهمجي الذي كان مسلطا عليها من طرف الاستعمار الفرنسي والاسباني.

في البداية تشكلت النقابات والمنظمات العمالية بمبادرة من العمال الفرنسيين المقيمين في المغرب، وقد انخرط العمال المغاربة بكثافة في هذه النقابات، والتزموا بجانب رفاقهم الاوروبيين في جميع التحركات المطلبية، فأعطى ذلك زخما قويا، فأصدرت السلطات الاستعمارية ظهيرا سنة 1938 تمنع فيه العمال المغاربة من الانتماء للنقابات، ويتعرض من يضبط منهم بحوزته بطاقة نقابية للسجن وأشد انواع العقاب، في حين يتم طرد العمال الفرنسيين الذين يساعدون المغاربة على التنقب.

الا ان عزيمة العمال المغاربة لم تكل، ونظمو احتفالات فاتح ماي الى جوار عمال العالم، فقام بعض أرباب العمل بمبادرة تنظيم هذا اليوم الاممي في معامله وباشرافهم الشخصي، ويذكر لنا التاريخ قيام مالك الشركة المغربية للسكر C.O.S.U.M.A بتنظيم احتفال بمناسبة فاتح ماي بمعمله سنة 1942، والقى خطابا أمام السلطات الإقليمية ووفود أرباب العمل، والعمال المغاربة والاروبيين بالمؤسسة مجتمعين وتمت ترجمته إلى العربية، حيث قال: «إننا نحيي في هذا اليوم الوفاق الاجتماعي الذي نعرفه أنتم وأنا، لأنه منذ مدة طويلة، أساس علاقاتنا. فمنذ بضع سنوات، فإن بعض المحرضين المهنيين يرمون إلى أهداف مخجلة قد عملوا على بث الفوضى في النفوس. وفي هذا المكان بالضبط صدرت أقوال مكرهة تجاه الرؤساء. إن ذلك الوقت الأليم قد ولى». إن هذا الاعتراف يعكس حجم وقوة التنظيمات العمالية خلال تلك الفترة.

ولم تقتصر احتفالات فاتح ماي بالمغرب، خلال فترة الاستعمار، على رفع مطالب نقابية فقط، بل كانت محركة للشعور القومي وكانت محطة للمطالبة بالاستقلال، ففي سنة 1951 طرد الكاتب العام الفرنسي[1] للاتحاد العام للنقابات المتحدة بالمغرب، بعد القائه خطابا في احتفالات فاتح ماي يدين فيه الاستعمار، وفي نفس السنة شارك الوفد النقابي المغربي في المؤتمر الرابع للاتحاد العام التونسي للشغل المنعقد في الأول من مايو 1951 بمناسبة عيد العمال العالمي حيث جاء على لسان الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل فرحات حشاد ما نصه «إن لقاء قادة الحركات النقابية في ليبيا وتونس والجزائر والمغرب هو بمثابة عيد للوحدة المغربية والتحرير، فبهذا العيد يحتفل الشعب الجزائري وشعب مراكش وشعب طرابلس لإقامة الدليل على أنها شعوب متحدة المرمى والأهداف ومستعدة للقضاء

[1]، في ذلك الوقت كان على رأس الاتحاد العام للنقابات المتحدة بالمغرب كاتبين عامين احدهما فرنسي والاخر مغربي

على الاستعمار المشترك».

بعد سنة واحدة من عقد هذا المؤتمر، وبالضبط في 05 دجنبر اغتيل الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد، فنظم العمال المغاربة يومي 7 و8 دجنبر 1952 اضرابا عاما بالدار البيضاء احتجاجا على اغتيال هذا المناضل العمالي الكبير، وتعرض على اثرها الحركة العمالية لقمع همجي، فدوهمت دار النقابات ونهبت مستنداتها واعتقل العمال المغاربة الموجودون هناك، وطرد المناضلين النقابيين الفرنسيين واعتقل الزعماء النقابيين المغاربة.

لكن الامور لم تتغير بعد "الاستقلال"، واستمر النظام المغربي على نهج المستعمرين في منع وقمع جميع اشكال حرية التعبير والتنظيم، لكن لم تتمكن الطبقة السائدة والنظام الدكتاتوري القائم من منع هذا اليوم، إذ تمكنت الطبقة العاملة منذ البداية من فرض الحق في عطلة خلال هذا اليوم والتظاهر في كل مدن المغرب. لكن هذا الحق صار مهددا، إذ يعمل أرباب العمل كل ما في وسعهم لمنع العاملات والعمال من الاحتفال بهذا اليوم من خلال إجبارهم على العمل، إما بتهديدهم بالطرد من العمل أو بترغيبهم عبر بعض المكافئات الهزيلة.

كما أن قوات القمع لا تتوقف عن استفزاز العاملات والعمال والشباب (معطلين طلبة، الخ) وإرهابهم. حيث قلما يمر فاتح ماي دون أن تقوم قوات البوليس باعتقال بعض المتظاهرين بحجة سب المقدسات (أي رفع شعارات معادية للدكتاتورية والقمع)، وكل هدفها إرهاب العمال وجعلهم يتخلون عن التظاهر خلال يومهم الأممي. مما يجعل دفاعنا - نحن العاملات/ العمال والمعطلين والطلاب

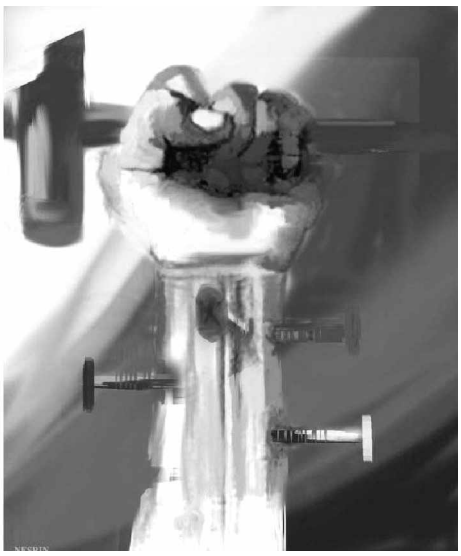

المغاربة- عن حقنا في التظاهر إلى جانب الطبقة العاملة العالمية، جزءا لا يتجزء من نضالنا العام من أجل الحرية السياسية وضد نظام الاستغلال والقهر: النظام الرأسمالي التبعي القائم بالمغرب.

أيها العمال، أيتها العاملات، يا أبناء شعبنا الكادح:

- **فلنجعل من يوم الفاتح من ماي يوما للنضال ضد الاستغلال!**
- **فلنجعل من يوم فاتح ماي يوما للنضال ضد الدكتاتورية والقمع!**
- **فلنجعل من يوم فاتح ماي يوما للنضال من اجل الحق في تعليم عمومي مجاني وذي جودة!**
- **فلنجعل من يوم فاتح ماي يوما للنضال من أجل الحق في خدمات صحية مجانية وذات جودة!**
- **فلنجعل من يوم فاتح ماي يوما للنضال من أجل الحق في أسبوع عمل من 40 ساعة بدون التخفيض من الأجور!**
- **فلنجعل من يوم فاتح ماي يوما للنضال من أجل تخفيض الأسعار!**

نضالات جماهير الجبهة بإقليم شفشاون ضد التهميش

يوم 05 يناير 2009 خرجت جماهير الجبهة، لأول مرة في تاريخها، لتعبر عن غضبها وتضامنها مع الشعب الفلسطيني في غزة. كانت هذه التظاهرة مؤشرا عن تغير مزاج الجماهير في الجبهة، اذ نظمت بمبادرة من الشباب (تلاميذ الثانوي) الذين في أغلبهم بدون أي تكوين سياسي ولا تجربة نضالية سابقة.

لقد كانت تلك المظاهرة تمرينا جيدا لتسخين العضلات الفتية قبل الدخول في المعارك المقبلة، وهذا ما كان! حيث وقبل انتهاء سنة على تلك المحطة النضالية، دخلت الجماهير مرة أخرى لساحة النضال، وكانت الشرارة التي أشعلت لهيبه انقطاع الماء الشروب لازيد من أسبوع دون تدخل أي مسؤول لحل هذا المشكل.

الفورة النضالية

في البداية دعا بعض الشباب لتنظيم وقفة احتجاجية أمام المكتب الوطني للماء الصالح للشرب يوم 29 دجنبر 2009 لكن مدير المكتب رفض الحوار مع المعتصمين وتلفظ بألفاظ بذيئة في حقهم، لتتطور الأمور إلى مسيرة احتجاجية جابت مختلف شوارع الجبهة وتوقفت أمام اغلب أجهزة الدولة (القيادة، الجماعة، المكتب الوطني للماء).

استمرت هذه المسيرة أكثر من خمس ساعات، سادت خلالها روح كفاحية عالية وهو ما عكسته الشعارات التي رفعت خلالها، وبسرعة تعلم الشباب كيفية احتلال الشارع وتحدي القمع، هذه هي الخطوات الاولى في اكتساب الخبرة في الاحتجاج الجماهيري.

كانت اغلب الحوارات عبارة عن دردشات مع القائد ورئيس خلية الدرك الملكي اللذان وعدا السكان بعودة الماء خلال ساعات، لكن الساعات مرت والمياه لم تعد إلى الصنابير، فتم فرز لجنة حوار من أجل إيصال مطالب الساكنة إلى المسؤولين والضغط عليهم من اجل تحقيقها، لكن هذه اللجنة لم تجد من يتحاور معها. وفي حدود الساعة 19:30 اختتمت المسيرة بوعد تجددها غدا في العاشرة صباحا مع اغلاق جميع المحلات التجارية والحرفية وإضراب للأساتذة والمعلمين.

في الساعة العاشرة صباحا من يوم 30 دجنبر 2009 انطلقت الشرارة من الثانوية، إذ نظم التلاميذ مسيرة جابت شوارع الجبهة وتوقفت أمام أجهزة الدولة مثل الأمس، انظم الآباء والأمهات إلى أبنائهم العطشى المطالبين بحقهم في الماء الصالح للشرب، وتوقفت المسيرة أمام جميع المحلات التجارية التي رفضت الإغلاق وأرغموها على الإقفال، وبسرعة تحولت المطالب الآنية الخاصة بالماء إلى مطالب اجتماعية عامة ورفعت شعارات ضد البطالة وغلاء الاسعار.

عقد جمع عام لكل المشاركين في المظاهرة، في مركز البلدة، تم خلاله تسطير مطالب جماهير الجبهة، وافرزت لجنة لرفع هذه المطالب للمسؤولين ضمت هذه اللجنة عمال وبحارة ومعطلين واساتذة وموظفين وتلميذتين وتجار...

حضر رئيس دائرة باب برد للحوار مع ممثلي السكان، لكن تبين عدم قدرته على الاستجابة لهذه المطالب وضل يعد

المتحاورين طيلة الوقت بأنه سيرفع مطالبهم المشروعة إلى الجهات المختصة، في نفس الوقت كان المعتصمون مازالوا يرابطون امام باب قيادة الجبهة، ولم ينصرفوا الا بعد عودة المياه الى الصنابير وقراءة نتائج الحوار، فأعلنت أغلبية المعتصمين عن نيتها في الاستمرار في التظاهر إذا لم يتم تنفيذ مطالب السكان في أجل قدره شهرين.

الانتخابات

في بداية هذه الحركة النضالية الرائعة أحجم عن المشاركة بعض الذين يعتبرون أنفسهم "مناضلين" بحجة ان سكان الجبهة يستحقون ما يحدث لهم، على اعتبار أنهم صوتوا على الرئيس الحالي للجماعة في الانتخابات الجماعية الاخيرة وفاز بهامش كبير على منافسيه، وهو ما نعتبره مبررا سخيفا لعدم المشاركة في النضال من جانب هؤلاء "المتجذرين"، الذين لا يفهمون أي شيء عن الجماهير بالرغم من انهم يتحدثون صباح مساء باسمها ! إن الجماهير لا تتعلم في مدرسة المدعين ولا بخطاباتهم، بل تتعلم من خلال تجربتها الخاصة . حيث أن الذين صوتوا، وهم الأقلية على كل حال[1]، لفائدة الرئيس الحالي لم يجدوا منافسا حقيقيا له، بل مجموعة من الاشخاص الذين سبق لهم ايضا تسيير الجماعة واثبتوا جدارتهم في الفساد، فصوت من صوت بحثا عن بديل قد يحقق لهم ولو بعض الوعود التي قدمها، ثم أعطوه ما يكفي من الوقت ليروا هل سيتحقق أي شيء، لكنهم بعد ان يئسوا من الانتظار نهضوا ليحلوا مشاكلهم بأيديهم، وعندما احتاجت جماهير الجبهة ان تسمع صوتها الحقيقي فقد سمعه الجميع لا على المستوى الوطني او الاممي، الجميع سمع صوتهم المدين لتهميش الجبهة وتعطيش سكانها.

القمع يكشر عن انيابه:

اثناء هذه الحركة الرائعة جدا، وكما هي جميع الحركات النضالية، قام بعض الاشخاص بتكسير بعض مصابيح الانارة العمومية وبعض احواض الازهار أمام مسكن رئيس الجماعة وبوابة المكتب الوطني للماء، وهذا هو المبرر الذي استغلته الدولة لتوجيه ضربة قمعية لجماهير الجبهة لتجرؤها على الاحتجاج، فقامت قوات الدرك باعتقال ثلاثة شبان من المشاركين في الاحتجاجات، ياسين البازي (19 سنة) ومحمد زتيف (21 سنة) ومحمد سعيد أورياغل (20 سنة)، بعد عشرة ايام عن انتهاء الاحتجاجات، وقدمتهم للمحاكمة بتهم تخريب ممتلكات عمومية وخاصة، والمشاركة في مظاهرات غير مرخصة ، واهانة موظفين اثناء اداء عملهم.

لكن الذي لم يتوقعه النظام هو موجة التضامن التي التفت حول المعتقلين لا سواء على المستوى الوطني أو الاممي، إذ شهدت محاكمة المعتقلين حضورا مكثفا لعائلات وأصدقاء المعتقلين ونظمت وقفات تضامنية معهم على هامش محاكمتهم يومي 21 يناير و04 فبراير 2010 شارك فيها العديد من الهيئات والاطالات الجمعوية والسياسية، من الجبهة وشفشاون، تطوان، طنجة، القصر الكبير (الجمعية المغربية لحقوق الإنسان، رابطة العمل الشيوعي، الجمعية الوطنية لحملة الشهادات المعطلين بالمغرب، جمعية أطاك....)

وتقاطرت على البريد، المخصص للتضامن مع المعتقلين، العديد من رسائل التضامن من مختلف بقاع العالم وشرت أخبار نضالات جماهير الجبهة والاعتقالات التي تعرض لها هؤلاء المعتقلين على العديد من المواقع الالكترونية، كان أبرزها مواقع التيار الماركسي الأممي الذي نظم حملة تضامنية مع جماهير الجبهة بالعربية والانجليزية والاسبانية والفارسية...، وقد بدت السلطات جد منزعجة من ضخامة حملة التضامن، وبسبب ضغط مختلف الأشكال التضامنية ترددت السلطات في أي قرار تتخذ. وفي النهاية عملت على إطلاق سراح المعتقلين الثلاثة، يوم الخميس 04 فبراير 2010 ، بعد أن قضوا حوالي شهر في الاعتقال، حيث تم الحكم عليهم بثلاثة أشهر موقوفة التنفيذ لكل واحد منهم.

لقد كان هذا الحكم، بالنسبة للقضاة والبوليس، حلا لإنقاذ ماء الوجه . إذ أنهم في الواقع خسروا المعركة. لقد اعتقدوا في البداية أن الاعتقالات سوف ترهب جماهير بلدة الجبهة وتخضعهم، لكن العكس هو الذي حصل: فالاعتقالات زادت النار اشتعالا؛ وبدل أن تدفع بهم إلى النحيب والعويل، ردت عائلات المعتقلين ولجنة الدعم بقوة من خلال القيام بتحركات جديدة . ومنذ تلك اللحظة فصاعدا، صار المعتقلون يشكلون مصدر إحراج للسلطات، التي أرادت التخلص منهم بأسرع وقت ممكن.

لقد كان وصول المعتقلين الى الجبهة حدثا أجج مجددا جذوة النضال بين السكان فنظموا لهم استقبالا شعبيا، جابت خلاله تظاهرة شارك فيها اصدقاء وعائلات المعتقلين والعديد من شباب البلدة، مصحوبة بفرق فلكلورية محلية فكانت تسمع اصوات الزغاريد المختلطة مع الشعارات في مختلف الاحياء التي مرت منها التظاهرة.

عندما كان هؤلاء الشباب معتقلين، تعالت بعض الصيحات المستهجنة لتخريب "الممتلكات العمومية" من طرف بعض السادة "المسالمين"، هؤلاء الذين لم يكلفوا انفسهم عناء مشاركة السكان الاحتجاج على الوضعية المتردية التي توجد فيها بلدتهم، يمكننا ان نقول الشيء الكثير حول الطرق المستعملة في الاحتجاج، إننا لا يمكن أن نوافق على تدمير "الممتلكات العمومية"

والمحلات المهنية أو تكسير السيارات، إن هذه الاساليب تقدم للمسؤولين المبرر الذي تبحث عنه من اجل الظهور بمظهر "حامية الممتلكات العمومية" وتعطي الفرصة للذين يجيدون النباح كي يستمروا في نباحهم.

لكن مهما كان، فإن موقف المسؤولين والسادة "المسالمين" اتجاه التخريب هو موقف مناقض، فما تم تكسيره خلال هذه الحركة الاحتجاجية، بغض النظر عن امكانية اندساس بعض العناصر الاستفزازية، لا يشكل شيئا مقارنة مع ما خربه المسؤولون الذين تعاقبوا على تسيير الجبهة منذ "الاستقلال".

الاشعاع

بالرغم من تراجع الحركة الآن، الا أن الرغبة في النضال ما زالت مستعرة في النفوس، خصوصا أن جميع الظروف التي جعلت جماهير الجبهة ينجزون هذه الحركة الرائعة ما زالت قائمة، وأصبح الجميع يعرف أن هذه التجربة الغير مسبوقة ستتكرر وستفيد منها العديد من المناطق المجاورة.

بعد أشهر قليلة، انفجرت مرة أخرى حركة جماهيرية في منطقة باب برد، التي لا تبعد عن الجبهة سوى بكلمترات قليلة، من طرف الفلاحين الفقراء اللذين يعتاشون على زراعة القنب الهندي، وقاموا بنفس الخطوات التي استُخدمت في الجبهة (مسيرات، وقفات، اضراب شامل للمحلات التجارية وأوراش الحرفيين)، وهذا يعكس السرعة التي تتعلم بها الجماهير، وأن التقاليد النضالية سرعان ما يتم استرجاعها وتطويرها.

[1]: والدليل على ذلك هي النسبة الضعيفة للمشاركة سواء على المستوى الوطني أو بالنسبة لمركز الجبهة التي لم تصل فيه حسب الاحصائيات الرسمية الى 40%، هذا دون الحديث عن العديد من الشباب الذي يرفض اصلا التسجيل في اللوائح الانتخابية.

قضية الصحراء: الواقع والبديل

يوم 06 نوفمبر 2009، ألقى محمد السادس خطابا بمناسبة الذكرى 34 لإرسال الحسن الثاني لأزيد من 350.000 شخص لاجتياح جزء من الصحراء الغربية المحتل آنذاك من الإسبان. وقد ركز فيه، كما كان متوقعا، على إعادة التأكيد على "ثوابت" موقف الطبقة السائدة بالمغرب من الصراع الدائر في الصحراء، حيث أعاد التأكيد على "التشبث بالوحدة الترابية للمملكة، وثوابتها المقدسة،وسيادتها الكاملة [...]"، الخ.

إلا أن "الجديد" ربما هو اللهجة القوية، في ذلك الخطاب، التي لجأ إليها محمد السادس في حديثه عن الموقف المعارض، إذ قال إنه "آن الأوان لمواجهة هذا التصعيد العدواني، بما يقتضيه الأمر من صرامة وغيرة وطنية صادقة، ووضوح في المواقف، وتحمل كل واحد لمسئوليته"، كما عبر عن رفضه "الاستغلال المقيت، لما تنعم به بلادنا، في مجال الحريات وحقوق الإنسان، للتآمر ضد سيادة الوطن ووحدته ومقدساته، من أي كان"، مما يعتبر كما هو واضح تهديد لكل من يعارض الموقف الرسمي للدولة، سواء الشعب الصحراوي المطالب بالاستقلال أو التيارات اليسارية والمناضلين/ ات بالمغرب المدافعة عن حق الشعب الصحراوي في تقرير المصير، والذين يدخلون هم أيضا ضمن خانة الـ "أي كان" الذين "يستغلون ما تنعم به البلاد في مجال الحريات وحقوق الإنسان، للتآمر ضد سيادة الوطن ووحدته ومقدساته" (!!)

إن العمال والفلاحين وعموم الكادحين والمثقفين الجذريين في هذا الوطن يعلمون بتجربتهم اليومية مقدار ما تنعم به البلاد في مجال الحريات وحقوق الإنسان، حيث ما يزال عشرات المعتقلين الطلاب والسياسيين والمناضلين المغاربة والصحراويين قابعين في السجون، وحيث لا تتورع قوات الملك عن قمع كل مظاهرة احتجاج، وحيث تكميم الأفواه هو السياسة السائدة.

كما أنهم يعرفون مقدار تشبث الطبقة السائدة بالمغرب ونظامها السياسي بـ "سيادة الوطن ووحدته ومقدساته" من خلال تجربتهم مع الخصخصة التي تبيع ممتلكات البلاد من شركات حيوية وأراض خصبة وغيرها ومن خلال الاتفاقيات الأمنية والتجارية التي توقعها مع الإمبريالية والتي تتنوع ما بين إقامة القواعد العسكرية والتجسس لصالح الدوائر الإمبريالية واعتقال وتعذيب المطلوبين من طرف الولايات المتحدة الأمريكية، وبين تحويل أبناء الشعب إلى عبيد للشركات المتعددة الجنسيات، خاصة في "المناطق الحرة"، حيث لا حقوق نقابية ولا قوانين؛ وتحويل ثروات الوطن (المنجمية والبحرية، الخ) إلى لقمة سائغة بين أفواه القوى الإمبريالية وعملائها المحليين.

كما أنهم يعرفون أيضا أن ذلك الكم اليسير من الحريات والحقوق التي تحققت لم تكن منة من طرف الطبقة السائدة والنظام الملكي الدكتاتوري، إنما حققتها نضالات مريرة وتضحيات جسام قدمتها الطبقة العاملة والكادحون ومناضلاتهم ومناضلوهم المخلصون. وها هي الآن صارت مهددة بالسحق من طرف نفس هذا النظام الدكتاتوري الذي يتغنى بها وبالدفاع عنها.

بعد ذلك أصدر أمره إلى "السلطات العمومية [من أجل] مضاعفة جهود اليقظة والتعبئة، للتصدي، بقوة القانون، لكل مساس بسيادة الوطن، والحزم في صيانة الأمن [...]"، أي إلى المزيد من القمع وتضييق الخناق على كل أشكال المعارضة. وليس الحديث عن "القانون" سوى لذر الرماد في العيون وخداع الجماهير عن المعنى الحقيقي للرسالة التي يوجهها الملك إلى قواته. إنه قانون الدكتاتورية الذي باسمه تكسر عظام المعطلين، ويشرد العمال والفلاحون في كل يوم وفي كل مكان من البلد.

وسيرا على نهج الإرهابي الكبير جورج بوش ومنطقه الشهير: إما معي أو مع الإرهاب، أكد محمد السادس على "أنه لم يعد هناك مجال للغموض أو الخداع، فإما أن يكون المواطن مغربيا، أو غير مغربي [...] فإما أن يكون الشخص وطنيا أو خائنا، إذ لا توجد منزلة وسطى بين الوطنية والخيانة [...]"، أي إما أن يتبنى المرء موقف الطبقة السائدة بخصوص إجبار الشعب الصحراوي على البقاء في "أحضان" (الأصح: بين أنياب) النظام الدكتاتوري القائم بالمغرب، ويتنكر لحقه في تقرير مصيره بحرية، أو أنه "خائن"!!

إنه منطق الدكتاتورية والطغيان والظلامية في أوضح أشكالها! "إما معي أو أنت خائن وتستحق عقوبة الخيانة العظمى".

لكن الواقع هو أن الخونة الحقيقيين هم صنائع الاستعمار وأذنابه والمدافعون عن استمرار الهيمنة الإمبريالية على الأوطان، الذين نهبوا الأوطان وحولوها إلى سجون وجوعوا الشعوب وجهلوها وكرسوا التخلف وعمقوه، أي نفس هذه الأنظمة، ومن بينها النظام القائم بالمغرب، السائدة في العالم العربي من المحيط إلى الخليج؛ وليس مناضلوه الشرفاء الذين قدموا بسخاء حياتهم وحرياتهم وما يزالون يقدمونها ثمنا لتصبح هذه الأوطان للجميع، لكي يصير للجميع الحق في منصب شغل كريم وفي المأكل والمأوى والتعلم والصحة والسعادة.

إننا، نحن المناضلون الماركسيون بالمغرب، إذ ندافع عن حق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره لا نكون بصدد العمالة مع "عدو خارجي" أو نرغب في تقسيم أوطاننا إلى كيانات صغرى، أو ما إلى ذلك من الافتراءات الكاذبة. بل نكون بصدد الدفاع عن حق أساسي من حقوق الشعوب، ألا وهو الحق في تقرير المصير بطريقة ديمقراطية، حقه في أن يختار الانفصال أو الوحدة بدون إجبار أو قهر من طرف أي كان. ويجب أن نوضح في هذا السياق أننا نناضل من أجل فدرالية اشتراكية أممية تلغي الحدود بين شعوب العالم قاطبة، ونعتبر الحدود ظاهرة متجاوزة تاريخيا ونناضل من أجل القضاء عليها تماما. لكننا في نفس الوقت نعارض الوحدة الإجبارية: الوحدة بين السيد والعبد، الوحدة التي تجمع الأمة المضطهَدة بالأمة المضطهدة بقوة الجيش والحديد والنار.

إننا إذ ندافع عن حق الشعب الصحراوي في تقرير المصير إنما نقوم بذلك لمصلحة الشعبين معا وكل الشعوب، إذ ليس للعمال والفلاحين والكادحين المغاربة أية مصلحة في اضطهاد شعب آخر، واصطناع الحروب المدمرة التي تضر بالشعبين معا. ونقوم بذلك لأننا ندافع عن إقامة وحدة أخوية حقيقية بين الشعبين وكل شعوب المنطقة مبنية على أساس ديمقراطي حر. أما الوحدة التي يدعوا إليها أعدائنا الطبقيون فهي "وحدة" الذئب والغنم، "وحدة" تمكنهم من نهب الثروات واستغلال البشر والحجر، بسلام وطمأنينة.

"الكلمة المولوية لا تحتاج للنقاش بل تحتاج إلى تطبيق فعلي"

وبطبيعة الحال سارعت كل القوى البورجوازية والإصلاحية إلى مباركة مضامين الخطاب والتصفيق "للحكمة المولوية" والتعبير عن انخراطها "وراء جلالته" في هذا التصعيد الجديد. ويكفي في

هذا السياق أن نستشهد ببعض المواقف التي عبر عنها الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، حيث بمجرد أن أصدر الملك خطابه سارعت الجريدة الناطقة باسمه إلى الانخراط في حملة الشوفينية والإرهاب عبر تخصيص أغلب صفحات عددها 9322 للتعبير عن اتفاقها المطلق مع كل ما جاء فيه.

حيث اعتبرت افتتاحية العدد الموقعة باسم الاتحاد الاشتراكي أن "الخطاب الملكي [شكل] خارطة طريق جديدة ومتقدمة، كما انه وضع التحدي الداخلي في مستوى ما يسترعي من الحزم والصرامة" ووضعت العديد من العناوين بالبند العريض على رأسها عبارته الشهيرة: "إما أن يكون المواطن مغربيا، أو غير مغربي... إما أن يكون الشخص وطنيا أو خائنا"، كما نشرت بيانا للكتابة الجهوية للحزب "بالأقاليم الصحراوية" والتي عبرت فيه عن "تثمينها بصدق وحرارة لمضامين الخطاب الملكي الواضحة والحازمة، وانخراطها في تفعيل مضامين هذا الخطاب وتوجيهاته في كل أبعادها [...]"، ونشرت أيضا تصريحات بعض أعضائه والتي جاء في بعضها: "الكلمة المولوية بمناسبة ذكرى عيد المسيرة الخضراء لا تحتاج للنقاش بل تحتاج إلى تطبيق فعلي وفي أسرع وقت" الخ.

إن هذا دليل قاطع على درجة الانحطاط التي وصلها الحزب، حتى أنه صار مجرد مطبق "للتعليمات السامية" بدون نقاشها ولو شكليا، ويؤكد أنهم "أجمعوا على أنهم جنود مجندون وراء جلالة الملك محمد السادس، ويدعمون مخطط عاهل البلاد". إذن الملك يهدد بموجة قمع شرسة وبالمزيد من التضييق على الأنفاس، والاتحاد الاشتراكي يبارك!

دليل قوة أم دليل عجز؟

إن المتمعن في معطيات الوضع لا يملك أن يسيطر على الرغبة في الضحك أمام هذه المسرحية السيئة الإخراج والإعداد والتمثيل. الدكتاتور يتحدث باسم الديمقراطية وحقوق الإنسان، والخونة ينافحون عن "سيادة الوطن"، وأحزاب لا قاعدة جماهيرية لها أصلا، والأخرى تآكلت كل مصداقية كانت لها في أعين الشعب، حتى أنها لم تعد تستطيع ملئ قاعة متوسطة الحجم إلا بالاستنجاد بمغنيي الراي والراب، تتحدث باسم الشعب كما لو أنها تمتلك تفويضا من طرفه. وجميعهم ينشدون أغنية "الوحدة الوطنية"!!

في سنوات السبعينات، عندما تمكن الحسن الثاني من جر أحزاب الاتحاد الاشتراكي والتقدم والاشتراكية والاستقلال إلى "وحدته الوطنية"، كان قد خرج للتو منتصرا من عدة معارك ضد الجيش وضد النقابات العمالية والطلابية والمنظمات الثورية، وكان "صمت" البادية، التي كانت تضم حوالي 70 % من سكان المغرب، يشكل بالنسبة له سندا قويا لاستمرار حكمه. كما أن الوضع الدولي، اقتصاديا وسياسيا، كان ملائما بشكل كبير من وجهة نظره؛ ثم إن تلك الأحزاب التي دخلت معه في مسلسل "الإجماع" و"الوحدة الوطنية" كانت ما تزال تمتلك مصداقية كبيرة (الاتحاد الاشتراكي على الأقل) في أعين فئات واسعة من الشعب المغربي.

أما الآن فماذا لدينا؟ كل الظروف تغيرت جذريا، وسنكتفي بمؤشرين فقط: فالنظام الملكي الحالي مفلس ويقف في مأزق بدون مخرج، يعاني من عزلة دولية تتمثل في تراجعه عن لعب الأدوار الريادية التي كان يلعبها في السابق كعميل أساسي للإمبريالية في المنطقة والقارة الإفريقية عموما والشرق الأوسط، وعزلة داخلية بعد أن اتضح للجماهير زيف كل الوعود التي قدمها بسخاء خلال السنوات الأولى لحكمه، فتحول الأمل إلى يأس وغضب ينتظر فقط الوقت المناسب لكي ينفجر. نظام لا يستطيع الحكم بالطرق القديمة ولا يستطيع الحكم بطرق جديدة، يلقي خطابا يتغنى فيه "بالديمقراطية" ويتبعه بآخر يؤكد فيه على "الحزم"، مما يعكس عمق التصدع الذي بدأ يظهر في قمة الهرم السياسي على شكل صراع بين دعاة اعتماد الجزرة وسيلة للحكم، وبين دعاة اعتماد العصا.

ثم أحزاب ضعيفة ومفلسة على جميع المستويات، ولا مصداقية لها في أعين الجماهير، ولا تستطيع تحريك ولو بضع مئات من الأشخاص. الشيء الذي يظهر جليا خلال المحطات الانتخابية التي لا تستطيع الأحزاب جميعها خلالها أن تعبئ حتى 20 % من الكتلة الناخبة.

وبالتالي فإن "الوحدة الوطنية" الحالية، ليست سوى شبح كاريكاتوري عن "الوحدة" السابقة. صدق من قال إن التاريخ يعيد نفسه كمهزلة.

وقد أصدر النظام هذا التهديد، مباشرة بعد أن تم اعتقال مجموعة من الناشطين الصحراويين يوم 08 أكتوبر 2009، تجرأوا على زيارة مخيمات تندوف وعادوا عبر مطار الدار البيضاء، وقدموا لمحاكمة عسكرية، فكان هذا الخطاب تهديدا مباشرا حتى لا يتجرأ أحد على خطوات أخرى مماثلة.

والمحك الأول لجدية هذه التهديدات كان هو حادثة منع الناشطة الصحراوية أمينتو حيدر في المطار من العودة إلى ديارها، وهناك تصرفت الدولة بـ "الحزم" الذي هددت به، لكن تطورات الأحداث، وإضراب الناشطة الصحراوية عن الطعام وضخامة التعاطف الذي حققته جعل النظام يقف في موقف حرج، لتتحرك المبادرات الرامية إلى إنقاذ ماء الوجه، والتي انتهت بعودتها مجددا، فلا الملك تمكن من تطبيق عقاب "الخيانة العظمى" ضدها، ولا "مناضلو" الاتحاد الاشتراكي "تصدوا" أو "طبقوا التعاليم السامية": ليصدق عليهم قول الشاعر: زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا ـــأبشر بطول سلامة مربع.

وفي: 07 مارس 2010 عادت مجموعة أخرى من الناشطين الصحراويين الذين زاروا مخيمات تندوف بنفس الطريقة التي استخدمها سابقيهم، إلا أنهم لم يتعرضوا لا للاعتقال ولا أية مضايقة، وانخرطت جوقة

المصدر: www.bakchich.info

الصحافة البرجوازية "المستقلة" منها والحزبية في موجة الشوفينية والسعار عبر اتهام "انفصاليي الداخل" بالخيانة العظمى.

بعد ذلك انخرطت الأطراف مجددا في مسلسل المفاوضات العقيمة، السرية والعلنية، "برعاية" الإمبريالية الأمريكية. والتي أكد الطرفان خلالها على نفس المواقف التي سبق لهم أن أعلنوا عنها منذ سنوات: الملكية تؤكد على تشبثها "بالسيادة الكاملة" و"حل الحكم الذاتي الموسع"، بينما البوليزاريو تؤكد على "ضرورة إجراء استفتاء"، مما يؤكد منذ البداية أن الأفق مسدود.

والجدير بالذكر أن كلا الطرفين لا يمتلكان ما يقدمانه، فلا النظام القائم بالمغرب يستطيع التنازل فيقبل بإجراء استفتاء هو متأكد مسبقا انه لن يكون في صالحه، مما سوف يضرب أحد الأسس الهامة التي يقف عليها. ولا البوليزاريو تستطيع أن تقبل بالتصور الرسمي المغربي "للحل"، مما سوف يودي بشرعيتها وبسبب وجودها أصلا.

والنتيجة؟

استمرار الوضع الراهن الذي يستفيد منه الطرفان معا! فالنظام القائم بالمغرب والملكية تستفيد من هذا الصراع لخلق "الإجماع" حولها وتبرير سياسة القمع والاستبداد والتجويع التي تسلطها على الشعب الكادح، كما تستفيد من إبقاء مؤسسة الجيش مستنفرة في الصراع ضد "العدو الخارجي" حفاظا على وحدتها (المهددة بالتفكك على أساس طبقي بين الجنرالات وكبار الضباط من جهة وبين صغار الجنود الذين يعيشون نفس الظروف المأساوية التي يكتوي في ظلها بقية الشعب الكادح)، وضمانا لانشغالها عن الالتفات إلى الداخل، وهي السياسة التي تطبق منذ المحاولات الانقلابية التي شهدتها السبعينات.ولا يجب أن ننسى هنا أن كبار الجنرالات بدورهم والأعيان الصحراويون، هؤلاء الطفيليون الذين يغتنون من نهب المال العام، بحجة الدفاع عن "وحدة الوطن"، مستفيدون من استمرار الوضع الحالي.

كما أن البوليزاريو بدورها مستفيدة من استمرار الوضع الراهن المريح جدا بالنسبة للكثير من قادتها، الذين تحولوا إلى أصحاب ملايير على حساب معاناة الشعب الصحراوي في الداخل وفي المنفى، خاصة وأنهم لا يمتلكون أي بديل عن هذا الوضع.

والضحية طبعا هو من جهة أبناء الشعب الصحراوي الفقراء المشردون في المنفى في ظل ظروف مأساوية، أو المتواجدون بالداخل في ظروف القمع والاضطهاد الهمجي؛ ومن جهة أخرى أبناء الشعب المغربي (من عمال وفلاحين فقراء وشباب عاطلين وطلاب مقموعين، الخ) المحرومين من الحق في الصحة والتعليم والشغل والسكن والتعبير، الخ والمطالبين دوما بتقديم لقمة خبزهم في سبيل شن هذه الحرب الإجرامية.

ما هو الحل؟

ليس الحل موجودا عند الإمبريالية (الأمريكية، أو الإسبانية أو الفرنسية أو غيرهم من قطاع الطرق الدوليين) أو مؤسساتها الدولية (الأمم المتحدة). فالإمبريالية هي سبب الاضطهاد القومي وقهر الشعوب ولا يمكنها أن تكون أبدا مصدرا لأي حل حقيقي ودائم يخدم مصالح أي شعب من الشعوب.

إن السياسة الإمبريالية مبنية على خدمة مصالح كبريات الشركات المتعددة الجنسيات التي باسمها ومن اجلها يدمر العالم، وليس على خدمة مصالح الشعوب.

وليس الرهان على القوى الإمبريالية ومؤسساتها الدولية ومقرراتها و"شرعيتها"، الذي ما تزال تتبناه بعض التيارات اليسارية وبعض أصحاب النوايا الحسنة مع الأسف، سوى تعبير عن سذاجة مطلقة. سذاجة غير مسموح بها في ميدان الصراع الطبقي الذي يؤدي كل خطأ فيه إلى كوارث وهزائم ساحقة.

كما أن الحل غير موجود عند الطبقة السائدة بالمغرب ونظامها الملكي ولا في "مقترحاتها" حول "الحكم الذاتي الموسع"، في ظل الدكتاتورية والاستبداد، ويمكن لمن يشك في هذا أن يسأل العمال المغاربة والفلاحين الفقراء والطلاب وباقي المقهورين عما يقاسونه من استغلال وقهر وقمع.

إن الحل قدمته الثورة الروسية، إذ دافع الماركسيون قبل الثورة عن وحدة وثيقة بين عمال وفلاحي كل القوميات والشعوب المكونة لروسيا القيصرية، وناضلوا بحزم ضد كل أشكال الاضطهاد القومي والشوفينية والتعصب، وطالبوا بحق الشعوب في تقرير مصيرها بحرية، بما في ذلك الحق في الانفصال، وفي نفس الوقت ناضلوا بحزم ضد كل المحاولات الرامية إلى تقسيم صفوف العمال على أسس قومية أو جنسية أو لغوية واعتبروها جريمة في حق الطبقة العاملة والاشتراكية. إذ اعتبروا أن الانتصار على النظام القيصري مستحيل دون وحدة وثيقة بين صفوف الطبقة الطليعية الوحيدة القادرة على تحقيق ذلك النصر.

وقد جسدوا هذه الوحدة من الناحية التنظيمية من خلال بناء الحزب البلشفي الذي كان يضم الاشتراكيين الثوريين من كل القوميات واللغات التي كانت تشكل روسيا، على أساس برنامج ثوري وضع مطلب القضاء على النظام القيصري إلى جانب مطلب حق تقرير المصير، وهو ما تحقق بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية، حيث أعطت الجمهورية العمالية الفتية ومنذ تأسيسها الحق لجميع شعوب روسيا في تقرير مصيرها بحرية، مما أسفر عن تشكيل العديد من الجمهوريات الحرة والمستقلة، والتي قررت بملء إرادتها الاتحاد في ظل فدرالية اشتراكية كبرى، اتحاد أمم سيدة وحرة مع بعضها البعض، وليس اتحاد السيد مع العبد، كما كان الحال في السابق[1].

وهذا هو البديل الذي نقترحه نحن أيضا على شعوب المنطقة المغاربية، وحدة في النضال ضد أنظمة القهر والاستغلال القائمة في المنطقة من أجل إسقاطها وبناء فدرالية اشتراكية في المنطقة المغاربية تضمن لجميع شعوب المنطقة الحق في تقرير المصير السياسي والاقتصادي واللغوي، وتسمح بتسخير ثروات المنطقة الهائلة لخدمة مصالح الأغلبية الساحقة، وليس مصالح الإمبريالية وأقلية من الرأسماليين، وأسياد الحرب، والوصوليين الخ.

جريدة الشيوعي

تصدرها رابطة العمل الشيوعي

الفرع المغربي للتيار الماركسي الأممي

[1] نعم لقد تعرضت هذه المكاسب العظيمة إلى ضربة ساحقة على يد البيروقراطية الستالينية بعد ذلك، لكن ذلك موضوع آخر مرتبط بظروف صعود الستالينية وعزلة الثورة والهزائم الساحقة التي تعرضت لها الطبقة العاملة الروسية والعالمية منذ أواسط العشرينات.

نحو الأممية الخامسة

التيار الماركسي الأممي

الأربعاء: 17 مارس 2010

لقد أثارت دعوة الرئيس تشافيز إلى بناء أممية ثورية جديدة: أممية خامسة، نقاشا واسعا بين صفوف الحركة العمالية بأمريكا اللاتينية وعلى الصعيد العالمي. ومن المستحيل على الماركسيين أن يقفوا غير مبالين بهذه المسألة. إذن ما هو الموقف الذي ينبغي علينا اتخاذه منها؟

إن السؤال الأول الذي ينبغي علينا الإجابة عنه هو: هل نحن في حاجة إلى أممية؟ إن الماركسية إما أن تكون أممية أو لا تكون. ومنذ البدايات الأولى لحركتنا كتب ماركس وإنجلز، على صفحات البيان الشيوعي: "ليس للعمال وطن".

لم تكن النزعة الأممية عند ماركس وإنجلز مجرد نزوة، أو نتيجة لاعتبارات عاطفية. لقد كانت نابعة عن أن الرأسمالية تطورت باعتبارها نظاما عالميا، فمن مختلف الاقتصاديات والأسواق الوطنية، تنشأ سوق عالمية واحدة موحدة ومندمجة.

ولقد تحقق اليوم هذا التوقع، الذي طرحه مؤسسا الماركسية، حرفيا وبطريقة باهرة. إن الهيمنة المطلقة للسوق العالمية هي الحقيقة الأكثر أهمية في عصرنا. ليس هناك من بلد، مهما كان كبيرا وقويا، بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، والصين، وروسيا، يمكنه أن يقف بعيدا عن فلك السوق العالمية الجبارة. وقد كان هذا، في الواقع، أحد أسباب انهيار الاتحاد السوفييتي.

الأممية الأولى والأممية الثانية

لقد كانت الرابطة الشيوعية، منذ بداياتها الأولى، منظمة أممية. إلا أن تأسيس الجمعية الأممية للعمال (الأممية الأولى)، سنة 1864، شكل خطوة نوعية إلى الأمام. كانت المهمة التاريخية للأممية الأولى هي طرح مبادئ وبرنامج وإستراتيجية وتكتيكات الماركسية الثورية على الصعيد العالمي. لكن الجمعية الأممية للعمال لم تكن، في بداياتها، أممية ماركسية منسجمة، بل كانت منظمة شديدة التنافر، مشكلة من النقابيين البريطانيين الإصلاحيين، والبرودونيين الفرنسيين، وأنصار مازيني الإيطاليين، والفوضويين، وما إلى ذلك من تيارات. وقد تمكن ماركس وإنجلز، بفضل الجمع بين الصرامة المبدئية والمرونة الكبيرة على مستوى التكتيك، من أن يكسبوا تدريجيا الأغلبية إلى جانبهم.

نجحت الجمعية الأممية للعمال في وضع الأسس النظرية لبناء أممية ثورية حقيقية. لكنها لم تكن أبدا أممية عمالية جماهيرية حقا. لقد كانت استباقا للتور المستقبلي. وقد بدأت الأممية الاشتراكية (الأممية الثانية التي تأسست سنة 1889)، عملها من حيث انتهت الأممية الأولى. وعلى عكس سابقتها، بدأت الأممية الثانية بكونها أممية جماهيرية كانت تجمع وتنظم ملايين العمال. كانت تمتلك أحزابا ونقابات جماهيرية ذات قاعدة جماهيرية واسعة، في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وبلجيكا، الخ. وعلاوة على ذلك، استندت، بالأقوال على الأقل، على قاعدة الماركسية الثورية. كان مستقبل الاشتراكية العالمية يبدو مضمونا.

لكن سوء حظ الأممية الثانية تمثل في كونها تشكلت خلال مرحلة ازدهار طويلة للنظام الرأسمالي. وقد ترك هذا أثره على عقلية الفئات القيادية داخل الأحزاب والنقابات الاشتراكية الديمقراطية. كانت المرحلة الممتدة ما بين 1871 و1914، العصر الذهبي للاشتراكية الديمقراطية. فعلى قاعدة مرحلة نمو اقتصادي طويلة، كان من الممكن للرأسمالية أن تقدم تنازلات للطبقة العاملة أو، بعبارة أصح، لفئاتها العليا.

أدى تشكل فئة كثيرة العدد من الموظفين النقابيين والحزبيين والبرلمانيين الوصوليين إلى حدوث صيرورة انحطاط داخلها، حيث بدأت البيروقراطية تعمل تدريجيا على فصل نفسها عن الجماهير وعن قواعد أحزابها. وتدريجيا، وبشكل غير واع تقريبا، صار الهدف الثوري مغيبا. كان القادة قد ابتُلعوا في الروتين اليومي للعمل البرلماني أو النقابي. وفي النهاية تمت فبركة نظريات لتبرير هذا التخلي عن المبادئ.

لقد كان هذا هو الأساس المادي للانحطاط القومي الإصلاحي للأممية الثانية (الاشتراكية)، وهو ما اتضح بشكل قاس سنة 1914، عندما صوت قادة الأممية لصالح ميزانيات الحرب ودعموا برجوازيته "هم" في المذبحة الإمبريالية، الحرب العالمية الأولى.

الأممية الثالثة

لقد انطلقت الأممية الثالثة (الشيوعية) من نقطة أعلى نوعيا من سابقتيها. إذ وعلى غرار الجمعية الأممية للعمال، دافعت الأممية الثالثة، في أوج تطورها، عن برنامج ثوري أممي واضح. وعلى غرار الأممية الثانية، كانت تتمتع بقاعدة جماهيرية مشكلة من ملايين العمال. ومرة أخرى بدا وكأن مستقبل الثورة العالمية يوجد بين أيد أمينة.

في ظل قيادة لينين وتروتسكي، تشبثت الأممية الشيوعية بخط صحيح. لكن عزلة الثورة الروسية، في ظل ظروف تخلف مادي وثقافي رهيب، تسببت في الانحطاط البيروقراطي للثورة. فصارت للشريحة البيروقراطية، بقيادة ستالين، اليد العليا، خاصة بعد وفاة لينين سنة 1924.

وفي وجه الردة الستالينية ناضل ليون تروتسكي، والمعارضة اليسارية، للدفاع عن التقاليد العظيمة لثورة أكتوبر، والدفاع عن التقاليد اللينينية بخصوص الديمقراطية العمالية والنزعة الأممية البروليتارية. لكنهم كانوا يصارعون ضد التيار. كان العمال الروس منهكين بفعل سنوات الحرب والثورة والحرب الأهلية. ومن جهة أخرى كانت البيروقراطية قد بدأت تحس بثقة متزايدة، فأقصت العمال جانبا واستولت على الحزب.

عندما كان لينين يعاني من المرض الذي توفي على إثره، انخرطت البيروقراطية، بقيادة ستالين وبوخارين، في مسار يميني، حيث عملت في روسيا على التوافق مع الكولاك وغيرهم من الرأسماليين وتقديم التنازلات لهم، وكافحت لخلق جبهة مع من أسمتهم بالعناصر البرجوازية التقدمية في البلدان المستعمرة (تشانغ كاي تشيك في الصين) وبيروقراطية الحركة العمالية بالغرب (اللجنة الأنجلو-سوفييتية). وقد تسببت هذه السياسة الانتهازية في تكبد الثورة الصينية لهزيمة دموية، كما أدت في ألمانيا إلى إضاعة فرصة ثورية هامة سنة 1923، وفرصة أخرى في بريطانيا سنة 1926.

مع كل هزيمة كانت تتعرض لها الثورة العالمية، كان العمال السوفييت يغرقون أكثر فأكثر في لجة خيبة الأمل والإحباط، وكانت البيروقراطية والكتلة الستالينية داخل الحزب تكتسب قوة جديدة وثقة أكبر. وبعد هزيمة المعارضة اليسارية، بزعامة تروتسكي (1927)، وبعد أن كان ستالين قد أحرق أصابعه بسياسة التقارب مع الكولاك، قطع مع بوخارين وتبنى مواقف يسراوية متطرفة قامت على سياسة التجميع الإجباري للأرض في روسيا، وفرض على الأممية (الكومنترن) سياسة "المرحلة الثالثة" الخاطئة.

تعرض تروتسكي وأنصاره، البلاشفة اللينينيون، للطرد من الحزب الشيوعي ومن الأممية. وبعد ذلك تعرضوا لحملة افتراءات واضطهاد واعتقالات واغتيالات. لقد رسم ستالين خطا من الدماء بين البيروقراطية، التي استولت على ثورة أكتوبر وخانتها، وبين التروتسكيين الذين ناضلوا من أجل الدفاع عن الأفكار والتقاليد الحقيقية للبلشفية اللينينية.

المعارضة اليسارية الأممية

قضى صعود الستالينية في روسيا على الإمكانيات العظيمة التي كانت تختزنها الأممية الثالثة. وحطم الانحطاط الستاليني للاتحاد السوفييتي القيادات الشابة والغير مجربة للأحزاب الشيوعية في بقية البلدان. وبينما كان لينين وتروتسكي ينظران إلى الثورة العمالية العالمية باعتبارها الضامن الوحيد لمستقبل الثورة الروسية والدولة السوفييتية، فإن ستالين وأتباعه لم يكونوا يولون الثورة العالمية أي اهتمام. لقد عكست "نظرية" الاشتراكية في بلد واحد ضيق الأفق القومي للبيروقراطية، التي اعتبرت الأممية الشيوعية مجرد إدارة تابعة لوزارة الخارجية بحكومة موسكو.

والنتيجة الأسوأ لهذه السياسة هي تلك التي شهدتها ألمانيا. دعا تروتسكي إلى تشكيل جبهة موحدة بين العمال الشيوعيين والاشتراكيين الديمقراطيين للنضال ضد الخطر النازي. لكن تحذيرات تروتسكي لأعضاء الأحزاب الشيوعية لم تجد آذانا صاغية. كانت الطبقة العاملة الألمانية منقسمة على نفسها. وقد تسببت سياسة ستالين الخاطئة، بخصوص "الاشتراكية الفاشية"، في شق صفوف الحركة العاملة الألمانية الجبارة وشلها، مما سمح لهتلر بالوصول إلى السلطة سنة 1933.

هزيمة الطبقة العاملة الألمانية، سنة 1933، والناتجة عن رفض الأحـــزاب الشيوعية اقتراح تكتيك الجبهة الموحدة على العمال الاشتراكيين الديمقراطيين، شكلت نقطة انعطاف حاسمة . استخلص تروتسكي خلاصة أن أممية عاجزة عن إبداء أي رد فعل أمام هزيمة من هذا الحجم، هي أممية ميتة وأنه من الضروري تشييد أممية ثورية جديدة. وقد أثبت التاريخ صحة موقفه . إذ في سنة 1943، وبعد سنوات من استخدامها بكلبية من طرف ستالين كملحق بوزارة الشئون الخارجية، قام هذا الأخير بإقبار الأممية الشيوعية بطريقة مشينة وبدون حتى الدعوة إلى مؤتمر . فتعرض التراث السياسي والتنظيمي اللينيني لضربة ساحقة طيلة مرحلة تاريخية طويلة.

الأممية الرابعة

في ظل ظروف المنفى القاسية جدا، حاول تروتسكي، الذي كان يتعرض لحملة افتراءات من جانب الستالينيين وكان متابعا من الغيبيو(1)، أن يعيد تجميع القوى الصغيرة التي بقيت مخلصة لتقاليد البلشفية وثورة أكتوبر. لكن مع الأسف، فبالإضافة إلى ضعف القوى، كان المستوى النظري للعديد من الملتحقين بالمعارضة منخفضا وكانوا فاقدين للخبرة، فارتكبت العديد من الأخطاء، خاصة ذات الطبيعة العصبوية. وقد عكس هذا جزئيا عزلة المناضلين التروتسكيين عن الحركة الجماهيرية. وما تزال هذه النزعة العصبوية موجودة حتى اليوم في أغلب المجموعات التي تدعي كونها تمثل التروتسكية، والتي عجزت عن استيعاب أكثر أفكار تروتسكي بديهية.

أعلن تروتسكي الأممية الرابعة، سنة 1938، على أساس منظور محدد. لكن التاريخ أظهر خطأ هذا المنظور. وجه اغتيال تروتسكي، على يد أحد عملاء ستالين، سنة 1940، ضربة هائلة للحركة كلها. لقد أبان قادة الأممية الرابعة الآخرون عن أنهم لم يكونوا في حجم المهام التي طرحها التاريخ على كاهلهم. حيث استمروا يرددون كلمات تروتسكي دون أن يفهموا منهاجه. ونتيجة لذلك ارتكبوا أخطاء فادحة، مما أدى إلى تحطيم صفوف الأممية الرابعة. لقد كانت قيادة الأممية الرابعة عاجزة بشكل كلي عن فهم الوضع الجديد الذي نشأ بعد 1945. وتعود أسباب الانشقاقات والتشتت الذي عرفته الحركة التروتسكية إلى هذه المرحلة.

ليس من الممكن الآن الدخول في المزيد من التفاصيل حول أخطاء قادة الأممية الرابعة آنذاك، لكن يكفي أن نقول إن ماندل، وكانون وأنصارهما، فقدوا الاتجاه تماما بعد الحرب، الشيء الذي أدى بهم إلى التخلي الكامل عن الماركسية. لقد انحطت الأممية الرابعة، بعد وفاة تروتسكي، إلى عصبة بورجوازية صغيرة. لم يعد لديها أي قاسم مشترك مع أفكار مؤسسها، أو مع التيار البلشفي اللينيني الحقيقي. ويعتبر الموقف العصبوي الذي تتبناه العصب، التي تسمي نفسها تروتسكية، من الثورة البوليفارية مثالا واضحا عن هذا الواقع.

لقد انحطت الأمميتان الثانية والثالثة إلى منظمتين إصلاحيتين، لكن على الأقل كانت لديهما قاعدة جماهيرية واسعة. لم يكن لدى تروتسكي في المنفى منظمة جماهيرية، لكنه كان يمتلك برنامجا صحيحا وسياسة صحيحة وراية طاهرة. لقد كان يتمتع باحترام عمال العالم بأسره وكانت أفكاره تلاقي اهتماما بالغا. واليوم لا توجد ما تسمى بالأممية الرابعة كمنظمة. وهؤلاء الذين يتحدثون باسمها (وهم قلة) لا يمتلكون لا الجماهير ولا الأفكار الصحيحة ولا الراية الطاهرة. وكل كلام عن إعادة بناء الأممية الرابعة على هذه الأسس مجرد هراء.

تراجع الحركة

كان لينين مناضلا نزيها على الدوام. كان شعاره هو: يجب قول الحقيقة دائما. وبالرغم من أن الحقيقة قد تكون في بعض الأحيان مرة، إلا أنه يجب علينا أن نقولها في كل الحالات. **والحقيقة هي أنه، وبسبب تضافر مجموعة من الظروف، الموضوعية والذاتية، تعرضت الحركة الثورية للتراجع، وتحولت القوى الماركسية الحقيقية إلى أقلية ضئيلة.** هذه هي الحقيقة وكل من ينكرها لا يعمل سوى على خداع نفسه وخداع الآخرين.

لقد تسببت عقود من النمو الاقتصادي، الذي شهدته البلدان الرأسمالية المتقدمة، في تفاقم غير مسبوق لانحطاط المنظمات الجماهيرية التقليدية للطبقة العاملة. تسببت في عزلة التيار الثوري، الذي تحول في كل مكان إلى أقلية صغيرة. وقد ساهم انهيار الاتحاد السوفييتي في نشر اللبس بين صفوف الحركة وفقدانها للاتجاه، وشكل آخر حلقة في مسلسل انحطاط القادة الستالينيين، الذين انتقل العديد منهم إلى معسكر الثورة المضادة الرأسمالية.

وقد استخلص العديد من الناس خلاصات متشائمة من هذا الواقع. ولهؤلاء الناس نقول: ليست هذه هي المرة الأولى التي نواجه فيها الصعوبات، كما أننا لسنا خائفين على الإطلاق من مواجهة هذه

الصعوبات. إننا نحافظ على اقتناع راسخ بصحة الأفكار الماركسية، وفي الإمكانيات الثورية التي تختزنها الطبقة العاملة، وفي حتمية الانتصار النهائي للاشتراكية. إن الأزمة الحالية تفضح الطبيعة الرجعية للرأسمالية، وتضع انبعاث الاشتراكية العالمية على رأس جدول الأعمال. هناك تباشير لإعادة تجميع الصفوف على الصعيد الأممي. ما يجب القيام به الآن هو توفير تعبير تنظيمي لإعادة التجميع هذه، وإعطائها برنامجا ومنظورا وسياسة واضحة.

إن المهمة التي نحن أمامها تشبه، إلى حد بعيد، تلك التي طرحت على كاهل ماركس وإنجلز في وقت تأسيس الأممية الأولى. وكما سبق لنا أن شرحنا أعلاه، لم تكن الأممية الأولى منظمة منسجمة، بل كانت مشكلة من العديد من التيارات المختلفة. لكن ذلك لم يقل من عزم ماركس وإنجلز. بل عملا على الالتحاق بالحركة العامة من أجل تأسيس أممية للطبقة العاملة، واشتغلا بصبر لتمكينها من إيديولوجية وبرنامج علميين.

إن ما يفصل التيار الماركسي الأممي عن جميع التيارات الأخرى، التي تسمي نفسها تروتسكية، هو، تشبثنا الصارم بالنظرية الماركسية من جهة، ومن جهة أخرى موقفنا من المنظمات الجماهيرية. فنحن، وعلى خلاف كل المجموعات الأخرى، ننطلق من واقع أنه عندما سيبدأ العمال في التحرك، سوف لن يتجهوا نحو بعض المجموعات الصغيرة الموجودة على هامش الحركة العمالية. وفي الوثيقة التأسيسية لحركتنا كتب ماركس وإنجلز ما يلي:

«ما هي علاقة الشيوعيين بالبروليتاريين عموما ؟

إنّ الشيوعيين ليسوا حزبا منفصلا في مواجهة الأحزاب العمالية الاخرى وليست لهم مصالح منفصلة عن مصالح عموم البروليتاريا.

وهم لا يطرحون مبادئ خاصة يريدون قولبَة الحركة البروليتارية بقالبها.

إن الشيوعيين لا يتميزون عن الأحزاب البروليتارية الأخرى إلاّ في أنّهم: من ناحية، إنهم في الصراعات القومية لبروليتاريا مختلف البلدان يُبرزون ويُغلّبون المصالح المشتركة لعموم البروليتاريين، بغض النظر عن الانتماءات القومية؛ وهم، من ناحية أخرى، يمثّلون دائما مصلحة مُجمل الحركة في مختلف أطوار التطور، التي يمر بها الصراع بين البروليتاريا والبرجوازية.

إن الشيوعيون إذن هم عمليّا الفريق الأكثر حزما بين الأحزاب العمالية في جميع البلدان، والدافع دوما إلى الأمام، ونظريا هم متميزون عن سائر جُموع البروليتاريا، بالتبصّر في وضع الحركة البروليتارية، وفي مسيرتها ونتائجها العامّة.» **(ماركس وإنجلز: البيان الشيوعي. بروليتاريون وشيوعيون)**

ما هي الخلاصة التي نستخلصها من كل هذا؟ الخلاصة هي أنه لا ينبغي للماركسيين الحقيقيين أن يفصلوا أنفسهم عن المنظمات الجماهيرية. إن مأساة عصرنا تتمثل في كون القادة الاشتراكيين الديمقراطيين للحركة العمالية قد استسلموا للسياسات البورجوازية وصاروا يخنقون تطلعات العمال، لكنهم ما يزالون يتمتعون بدعم جماهيري في العديد من البلدان. من السهل جدا أن نعلن أن هؤلاء القادة منحطون. لكن المهمة الحقيقية هي بناء البديل.

لن يتم بناء الأممية بمجرد الإعلان عنها. لن يتم بنائها سوى على قاعدة الوقائع والأحداث، مثلما بنيت الأممية الشيوعية على قاعدة الخبرة التي راكمتها الجماهير خلال مرحلة 1914- 1920. الوقائع والأحداث، والوقائع والأحداث، ثم الوقائع والأحداث، هي ما نحتاجه لتعليم الجماهير ضرورة إحداث تغيير ثوري للمجتمع. لكننا نحتاج، بالإضافة إلى الوقائع والأحداث، إلى خلق منظمة تمتلك أفكارا واضحة ولديها قاعدة صلبة بين الجماهير على الصعيد العالمي.

كيف يمكن الدفاع عن الثورة الفنزويلية

في خطابه الذي ألقاه بكاراكاس، أشار هوغو تشافيز إلى أن جميع الأمميات الأخرى قد ارتكزت في الأصل على أوروبا، وكانت تعكس الصراع الطبقي بأوروبا آنذاك، لكن بؤرة الثورة العالمية قد تحولت الآن إلى أمريكا اللاتينية، وإلى فنزويلا على وجه الخصوص. من الأكيد أن الثورة في أمركا اللاتينية قد سارت، في الوقت الحالي على الأقل، أبعد مما سارت إليه في أي مكان آخر في العالم. وقد سبق للتيار الماركسي الأممي أن شرح هذا المنظور منذ عشر سنوات خلت، وهو ما أكدته الأحداث بشكل كلي.

مع تأكيده على هذه الحقيقة المؤكدة، لم ينف تشافيز مطلقا وجود إمكانيات ثورية في بقية مناطق العالم، بما في ذلك أوربا وأمريكا الشمالية. بل إنه، على العكس من ذلك، بعث بنداءات متكررة إلى عمال وشباب هذه البلدان للالتحاق بالحركة نحو الثورة الاشتراكية. لقد بعث بنداءات مباشرة إلى العمال والفقراء، والأمريكيين من أصل إفريقي بالولايات المتحدة، ليدعموا الثورة الفنزويلية. ليس لهذا الموقف أية علاقة بالديماغوجيا الرجعية بخصوص "النزعة العالم ثالثية" التي تحاول جعل "أمريكا اللاتينية" في مواجهة الأمريكيين الشماليين،"gringos". إنه موقف النزعة الأممية الصحيحة، التي رفعت قبل وقت طويل الشعار الملهم: "يا عمال العالم اتحدوا!"

إن الإمبريالية مصممة العزم على وضع حد للمسلسل الثوري الذي تشهده أمريكا اللاتينية. وفنزويلا هي طليعة هذا المسلسل، وتشكل سياسات تشافيز الأممية، ونداءاته المتكررة إلى الثورة العالمية، منارة لجميع المناضلين المعادين للإمبريالية عبر العالم. إن الثورة الفنزويلية تمثل خطرا مميتا على الطبقات السائدة في القارة الأمريكية. وهذا ما يفسر لماذا قامت الإمبريالية الأمريكية باتخاذ خطوات جديدة للسيطرة على الوضع، حيث عملت على إقامة سبع قواعد عسكرية في كولومبيا، وتنظيم الانقلاب في الهندوراس، وأخيرا، وليس آخرا، توقيع اتفاقية لإقامة قاعدة عسكرية جديدة في بنما، وهي الخطوات التي سوف تحاصر فعليا فنزويلا بالوجود العسكري الأمريكي.

ليست الأممية بالنسبة للثورة الفنزويلية مجرد مسألة ثانوية، بل إنها قضية حياة أو موت. ففي أخر المطاف، الطريقة الوحيدة لشل يد الإمبريالية الأمريكية هي بناء حركة جماهيرية قوية على الصعيد العالمي للدفاع عن الثورة. من المهم بناء هذه الحركة في أمريكا اللاتينية، لكن من الأهم أكثر بناءها في شمال الريو غراندي (Rio Grande). هذا هو السبب الذي جعل التيار الماركسي الأممي ينظم ويدعم بحزم الحملة الأممية: "ارفعوا أيديكم عن فنزويلا". تمتلك حملة "**ارفعوا أيديكم عن فنزويلا**" رصيـــــدا

مشرفا في تعبئة الرأي العام في العالم لدعم الثورة الفنزويلية. ويعود لنا الفضل في تبني النقابات البريطانية بالإجماع لتوصية بخصوص الدفاع عن الثورة الفنزويلية، وفي ذلك اللقاء الجماهيري، الذي ضم 5000 من الشباب والنقابيين، في فيينا للاستماع لخطاب تشافيز، وغير ذلك من المنجزات.

نحن الآن موجودون في أكثر من 40 بلدا. وهذا إنجاز عظيم، لكنه ليس سوى البداية. إن الحاجة ملحة لأكثر من مجرد حملة تضامن. إن ما يجب بناؤه هو أممية ثورية ضد الإمبريالية والرأسمالية، من أجل الاشتراكية وللدفاع عن الثورة الفنزويلية. **إن ما يجب بناؤه هو أممية ثورية عالمية حقيقية.**

إصلاح أم ثورة؟

لقد قام اتفاق كاراكاس (El Compromiso de Caracas) على أساس نضال عالمي ضد الإمبريالية والرأسمالية ومن أجل الاشتراكية. **وهذه قاعدة كافية لتوحيد أكثر القطاعات كفاحية داخل الحركة العمالية العالمية.** إلا أن هذا النداء استقبل بطرق مختلفة، حتى من بين القادة الذين كانوا حاضرين في مؤتمر الحزب الاشتراكي الفنزويلي الموحد. إن القادة الإصلاحيين والاشتراكيين الديمقراطيين لم يعجبهم إصرار تشافيز على القول بأنه يجب على الأممية الخامسة أن لا تكون مجرد أممية معادية للإمبريالية، **بل يجب عليها أيضا أن تكون أممية اشتراكية معادية للرأسمالية.** لقد أزعج هذا الكثير من الأشخاص. وقد عارض بعض الحاضرين في اجتماع أحزاب اليسار، الذي انعقد في كاراكاس، هذه الدعوة بحجة أنه لدينا "منتدى ساو باولو" وأنه ليس على هذه الأممية أن تكون معادية للرأسمالية بشكل صريح.

إن اللقاءات المتكررة لـ "منتدى ساو باولو" قد بينت بشكل واضح حدود مثل هذه التجمعات، والتي تحولت إلى مجرد ناد للثرثرة: مكان حيث يمكن لجميع أنواع الإصلاحيين أن يجتمعوا لكي يشتكوا من مظالم الرأسمالية، لكن دون أن يقدموا أبدا منظورا ثوريا أو يدافعوا عن الاشتراكية. بل يدافعون عن الإصلاحات الجزئية التي لا تغير أي شيء في الجوهر. هذا هو السبب الذي يجعل المؤسسات الإمبريالية الدولية، من قبيل البنك العالمي، تنظر باستحسان إلى مثل هذه الأنشطة، بل وتشجع وتمول المنظمات الغير الحكومية، باعتبارها **وسائل لإبعاد الانتباه عن النضال الثوري الهادف إلى تغيير المجتمع.**

لا تساهم المنظمات، من قبيل "منتدى ساو باولو" والمنتدى الاجتماعي العالمي، بأية ذرة في دفع النضال العالمي ضد الرأسمالية ولو خطوة واحدة إلى الأمام. هذا ما جعل تشافيز يقترح تشكيل الأممية الخامسة، مما يشكل قطيعة جذرية مع مثل تلك الحركات. قال تشافيز في خطابه إن الخطر الحقيقي على مستقبل الجنس البشري هو **الرأسمالية نفسها.** وبعدما أشار إلى الأزمة الرأسمالية العالمية، أدان محاولات الحكومات الغربية إنقاذ النظام عبر إنفاق أموال عمومية. قال **إن مهمتنا ليست إنقاذ الرأسمالية، بل تدميرها.**

قال تشافيز إن النداء موجه إلى **الأحزاب والمنظمات والتيارات اليسارية.** وقد خلق هذا النداء نقاشا جماهيريا في فنزويلا، كما خلق نقاشا بين صفوف العديد من الأحزاب والمنظمات اليسارية في كل ربوع أمريكا اللاتينية وخارجها. لقد أدى هذا النداء، بطبيعة الحال، إلى حدوث خلافات، لكن هذه الخلافات كانت موجودة أصلا. إنها الخلافات التي وجدت دائما داخل صفوف الحركة: الخلاف بين هؤلاء الذين يريدون فقط إدخال بعض الإصلاحات على النظام، وتجميل وجه الرأسمالية، وبين هؤلاء الذين يريدون القضاء على الرأسمالية واجتثاثها من جذورها.

في السلفادور، على سبيل المثال، عارض الرئيس فونيس، العضو السابق في "جبهة فارابوندو مارتي للتحرير الوطني" (FMLN)، بناء الأممية الخامسة، وقال إنه لا علاقة له بالاشتراكية. إلا أن FMLN أيدت رسميا تأسيس الأممية الخامسة. وفي المكسيك استقبلت الفكرة بحفاوة من جانب قطاعات من حزب الثورة الديمقراطية وغيره من المنظمات الجماهيرية. وفي أوربا أيضا سوف تناقش هذه الفكرة بالتأكيد داخل صفوف الأحزاب الشيوعية وجميع أحزاب اليسار عموما. وسوف يتوجب على جميع التيارات، إن عاجلا أو آجلا، أن تتخذ موقفا منها.

ما هو الموقف الذي ينبغي على الماركسيين اتخاذه؟

ما هو الموقف الذي ينبغي على الماركسيين اتخاذه؟ **إننا، باعتبارنا ماركسيين، نساند بشكل غير مشروط تشكيل منظمة أممية جماهيرية للطبقة العاملة.** لا توجد في الوقت الحالي أية منظمة أممية جماهيرية حقيقية. الأممية الرابعة تم تدميرها بسبب أخطاء قادتها بعد اغتيال تروتسكي، وهي غير موجـــودة في الواقع إلا كأفكار، ومناهج عمل، وبرنامج يدافع عنها التيار الماركسي الأممي. إن التيار الماركسي الأممي يدافع عن أفكار الماركسية داخل المنظمات العمالية الجماهيرية في جميع البلدان. وداخل هذه المنظمات نفسها حيث يجب، بشكل عاجل، طرح النقاش حول مقترح تشكيل الأممية الخامسة.

من جد المبكر القول ما إذا كانت الدعوة إلى تشكيل الأممية الخامسة ستقود فعليا إلى تشكيل أممية حقيقية. فهذا رهين بالعديد من العوامل. لكن من الواضح أن واقع كون هذه الدعوة قد صدرت من فنزويلا ومن الرئيس تشافيز يعني أنها سوف يكون لها صدى بين الكثير من الناس في أمريكا اللاتينية في البداية. سوف يؤدي هذا النداء إلى طرح الكثير من الأسئلة في أذهان العمال والشباب حول البرنامج الذي ينبغي على هذه الأممية أن تتبناه وحول تاريخ الأمميات السابقة، وأسباب صعودها وسقوطها.

هذا نقاش يتوجب على الماركسيين أن ينخرطوا فيه بنشاط. ينبغي على التيار الماركسي الأممي، المعترف عالميا بدوره في بناء حملة التضامن مع الثورة الفنزويلية وفي إنتاج دراسات ماركسية حولها، أن يتخذ موقفا واضحا من هذه المسألة. ولقد اتخذنا هذا القرار. ففي اجتماع اللجنة التنفيذية الأممية، الذي انعقد خلال الأسبوع الأول من شهر مارس، وبحضور أكثر من 40 مناضلا ومناضلة، يمثلون أكثر من 30 بلدا مختلفا في آسيا وأوروبا وأمريكا (بما في ذلك كندا والولايات المتحدة)، صوت التيار الماركسي الأممي بالإجماع لصالح المشاركة في بناء الأممية الخامسة.

إننا نعلن دعمنا الكامل لتشكيل أممية ثورية جماهيرية، وسوف نطرح مقترحات واضحة حول البرنامج والأفكار التي نعتقد أنه على الأممية الجديدة أن تتبناها. إننا لا نسعى إلى فرض آراءنا على أي أحد. فالأممية ومكوناتها، ستحدد مواقفها السياسية عبر النقاش الديمقراطي وأيضا على أساس التجربة الجماعية.

- **من أجل جبهة عالمية موحدة معادية للإمبريالية وللرأسمالية!**
- **من أجل الثورة الاشتراكية العالمية!**
- **من أجل برنامج ماركسي!**
- **عاشت الأممية الخامسة!**
- **يا عمال العالم اتحدوا!**